بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

تصدع الحائط .. فقامت القيامة !

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله — وبعد :

فان الاهتمام بالأضرحة والانفاق عليها وصيانتها ودعمها ليس غريبا على أمة استهوتها مظاهر الشرك حتى جعلتها قمة التدين ... فما من ضريح الا ويطوف الناس حوله ويستغيثون بصاحبه ويسألونه قضاء الحاجات ودفع الكربات .. وما من ضريح الا ويجعله اللاجئون اليه واسطة بينهم وبين الله تعالى ومصدرا للبركات تقرب اليه القرابين التماسا لرضاه .

لذلك لم يكن غريبا أن يظهر ذلك الاهتمام البالغ بقضية ما كانت تستحق هذا الاهتمام لو فهم التوحيد فهما صحيحا .. والقضية أثيرت على صفحات الجرائد وعلى شاشة التلفاز :

— حوار طويل بين وزير الثقافة واللجنة العليا للآثار ...

— طلبات احاطة تقدم فى مجلس الشعب ...

— استقالة يقدمها رئيس وأعضاء اللجنة العليا للآثار ... ثم نفى تقديم هذه الاستقالة ...

— مهندسون اجانب يستدعون للقيام بالعمل نظير خمسة ملايين من الجنيهات ...

— اعتراض من نقيب المهندسين وتطوع النقابة بالتكاليف ...

— تطوع ٢٠ مستشارا لتقديم المشورة الفنية حول العمل المطلوب ..

— تقارير يكتبها أساتذة للتاريخ والآثار والحضارة الاسلامية ...

— قيام رئيس الوزراء بتشكيل لجنة من « أكاديمية » البحث العلمى وكلية هندسة القاهرة وكلية هندسة عين شمس ووزارة الأوقاف ولجنة الآثار ...

وكل هذا لأن حائطا تصدع من مسجد الحسين رضى الله عنه .. قامت الدنيا ولم تقعد لأن الشرخ الذى حدث فى الحائط يعتبر من المخاطر الجسيمة ولأن الأمر جد خطير كما صورته المناقشات التى دارت فى مجلس الشعب والتى ذكر فيها نقيب المهندسين أن الله قد أعطاهم العلم والخبرة والمال فلا يبخلون بها على الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقول : ما دخل الحسين رضى الله عنه فى اقامة جدار أو هدمه ؟ وما الفائدة التى تعود عليه من ذلك كله ؟ والله لو عاش الحسين هذه الأيام ورأى ما تفعلونه لقاومكم وحاربكم لأنه تربى على التوحيد الخالص .. الحسين لا يقبل هذه المشاهد التى تبنى على رفات الصالحين لتكون مثابة للناس .. الحسين لا يقبل مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهى عن اقامة المساجد على القبور .. الحسين لا يقبل الا أن تكون المساجد لله وحده .

* * *

كم كنا نود أن يكون اهتمامنا بالمسجد الأقصى كاهتمامنا بهذا الحائط المتصدع .. المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله والذى أصبح هدفا للمؤامرات الاسرائيلية التى لا هم لها الا محاولة تدميره ...

كم كنا نود أن يكون للقرى التى تدمرها الحرائق نصيب من اهتمامنا كهذا الحائط المتصدع .. مثل قرية « الضهرية » فى محافظة البحيرة ..

وكم كنا نود من مجلس الشعب أن يهتم بقضية تقنين الشريعة الاسلامية اهتمامه بهذا الحائط المتصدع .. تلك القضية التى أعلن أنه سينظرها فى شهر مايو المقبل لتكون فى ذيل القضايا التى يبحثها او حتى

تأتى العطلة الصيفية للمجلس فيؤجل نظرها مرة أخرى الى عام قادم .. حتى ينتهى مجلس الشعب فى دورته الحالية الى ما انتهى اليه فى كل دوراته السابقة من تعطيل لاقامة الشريعة الاسلامية .

* * *

وأعود مرة أخرى الى موضوع ضريح الحسين رضى الله عنه فأقول ان الحسين لو كان مدفونا فى هذا القبر المزعوم لوجب نقل رفاته معززا مكرما مع المسلمين حتى يكون المسجد خالصا لله عز وجل وحده .. ولكن لا الحسين فى ذلك القبر ولا رأسه .. وانما هى مشاهد خاوية بنيت لتضليل العامة .. وأيا كان الأمر فقد نهى الاسلام عنها .

وأحب أن اذكر عباد القبور بأن الصالحين لا يتفاضلون بالأضرحة والمقامات والمشاهد .. وانما أكرمهم عند الله أتقاهم .. فهذا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهم ليس لهم أضرحة ورغم ذلك فهم أوائل العشرة الذين بشرهم بالجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخيرا فليس لنا من الأمر الا أن نذكر بقول الله تعالى « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « ان من شرار الخلق عند الله الذين تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون على القبور مساجد » ، « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ، « ان من كانوا قبلكم قد اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك » ... —

أما علماء المسلمين الذين سكتوا مجاملة أو نفاقا فنذكرهم بقول الله تعالى « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

وصلى الله سلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

رئيس التحرير

نفحات قرآن

بقلم بخاري أحمد عبده

— ١٠ —

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فديسة طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون. شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى ، والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون ».

هو البر الرحيم

قالت اليهود : — (يد الله مغلولة، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء . .) المائدة ٦٤

والبرية ناطبة لن تحصى ثناء عليه . هو كما اثنى على نفسه ، ولو نضبت البرية نظم كلم الحمد تعبيرا من العرفان وانفعالا بالنعم التى لا تحصى ، والبر الذى فاض بخير الدارين ، ووسع الحياتين ، ما وجدت كلمات أرحب ، وأوجز وأغنى من كلمتين اثنتين رددتهما — فى الجنة — السنة المؤمنين ، ويباركهما رب العالمين « انه هو البر الرحيم » .

فاقتدار العباد المتفضلين بفضل الله العامر ، وقفت خاشعة عند وسعه مكتفية بهاتين الكلمتين اللتين جاوبت صدى لاحساس المتقين العميق بما اكتنفهم من نعيم الايجاب ، والسلب، والتكريم بالمحسوس ، وبالمعنوى ، على النحو الذى عرض فى آيات « الطور » حتى كان القارىء يلمس المشاهد « جمع بشهود » ويجد المذاق ، ويشم العبير : — (ان المتقين فى جنات ، ونعيم . فاكهين

بما آتاهم ربهم ، ووقاهم عذاب الجحيم . كلوا ، واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون . متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين . والذين آمنوا ، واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما التناهم من عملهم من شيء . كل امرىء بما كسب رهين . وأمددناهم بفاكهة، ولحم مما يشتهون ، يتنازعون فيها كأسا ، لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون . وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين . فمن الله علينا ، ووقانا عذاب السموم . انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم) .

كلمتان — كما ترى — ذواتا سعة ، وعمقا كلية ، لأنهما مشمولتان برضى المولى ، ولأنه سبحانه أثنى بهما على نفسه ، وارتضى بهما شكرانا ، برغم أن نعمه لا تحصى ، وأن يده سبحانه سحاء الليل ، والنهار .

وهو — تبارك وتعالى — اذا دخل رمضان كان أجزل مثوبة ، وأبسط يدا ، وأوسع رحمة ، مصداق ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء . وفى رواية فتحت أبواب الرحمة) متفق عليه .

او مصداق ما رواه الترمذى ، وابن ماجة عن ابى هريرة قال : — « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت (بالبناء للمجهول) الشياطين ، ومردة الجن ، وغلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت ابواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادى مناد : يا باغى الخير اقبل ، ويا باغى الشر اقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة) .

كذلك الملأ الأعلى . تلهج — مستجيبة لفطرتها ، منفعلة بما حولها — بالدعاء لأهل الأرض وتستغفر للأنام ، كل الأنام مصداق ما ذكر القرآن : — (له ما فى السموات ، وما فى الأرض وهو العلى العظيم . تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ، ويستغفرون لمن فى الأرض ، ألا أن الله هو الغفور الرحيم) الشورى .

والملأ الأعلى فى شهر الصيام يرون (بالبناء للمجهول) أكثر اهتمامنا ، ورأفة ، واحتفاء بالذاكرين الصائمين، مصداق ما روى البيهقى — فى الشعب — عن انس رضى الله عنه قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة ، يصلون على كل عبد قائم ، او قاعد ، يذكر الله) .

كذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم — كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه فى الصحاح — (أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضان) .

وكذلك المسلمون ، تميزوا فى هذا الشهر بمزيد عبادة ، وطهر ، وبر ، وأمروا (بالبناء للمجهول) — وفق ما روى فى الصحاح عن ابن عباس — بزكاة الفطر على العبد ، والحر ، والذكر ، والأنثى ، والصغير ، والكبير من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة . متفق عليه .

وأخرج أبو داود باسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنه قال : — (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهر الصيام من اللغو ، والرفث ، وطعمة للمساكين) .

اذن فلا عجب اذا أطلنا المقام مع نفحات آيات الصيام ، ولا غرابة اذا ازدحمت المعانى ، وتواردت سخية سخاء ، محيطة بمجتمع المسلمين ، قانصة من الشوارد ، نافذة الى الأغوار ، فياضة بالخيرات كشهر الصيام .

سلفيون وايضا عصريون

ولقد أفضنا — وسنفيض — فى الحديث عن فاعلية الظروف ، وقابلية الانسان .

وهذا الانسان الذى ندعوه الى أن يتفاعل مع روح هذا الدين ، وأن ينسق بفطنة بين الدعوة وبين الظروف المتجددة المتغيرة غير باغ ، ولا عاد ، هذا الانسان — كما تبين — عجيب تتأثر «كيميائيته» بالأعراض التى تنتابه ، أو تعتريه .

يتغير اذا امتلأ ، ويتغير اذا علم ، واذا ارتفع او أمسى وجيها ، واذا حقق شهرة ، أو نعم بصحة ، أو ابتلى بقوة . . . الخ . .

ويتأثر كذلك بكل ضمور يطرأ عليه فى علمه ، او جسمه ، أو جاهه ، او ماله ، أو ... ، او ... والتفاعل الأول خطير ، لأنه ايجابى . وخطورته تكمن فى أنه قد يورث عتوا ، وتطاولا أو انحرافا ، وتسيبا ، أو ترفا ، وأخلادا الى الأرض .

أما الثانى فسلبى قد يحد من القدرة ، وقد يرجعه القهقرى ، وينحدر به ، ويسلمه الى الفتور والخمول ، والعجز ، شيئا فشيئا .

كذلك الأجيال ، تتقلب بين الزيادة ، والنقص ، وتتأثر بعوامل التعرية .

والاسلام بحكم عالميته ، وشموله ، وخلوده ، ينشد الحياة المهذبة ، ويجدو نحو الأساليب التى تكفل التفاعل المبارك بين الدين ، وقيمه ، وهداياته — من جهة — وبين قوى الواقع ، ومشكلات الحياة بكل عقدها ، ومنحنياتها — من جهة أخرى .

فالحق أن الاسلام قدير على أن يفتح الآفاق ، ويستوعب مشاكل الدنيا ، لأنه — برغم مثاليته — رحب ، مرن ، بعيد مدى الرؤية .

والداعية الحصيف يضع نصب ناظريه كل هذه الحقائق ، ويصل

الماضي بالحاضر على هدى وبصيرة كلما قاد ، وخطط ، أو جال ، ونفذ ، أو كر ، وفر . والا اضطربت رؤيته، واختلت خطاه ، لا يلهث لهاث الكلاب وراء اى جديد نابذا كل قديم حتى لا يفقد الأصالة ، ويضحي بالمقومات. ولا يرتبط ارتباطا اعمي بكل قديم فيفقد الانسجام وتلفظه الحياة وراءها ظهريا .

وهذا الفقه الواعى للحياة فى كنف الدين ، أو قل ان شئت للدين فى كنف الحياة هو السياسة الشرعية ، أو السلفية الحقة . لأن السلف كانوا على وعي عال بحياتهم ، وبمشاكل عصرهم وكانوا يطلون — من خلال الاسلام — على عالمهم وما يدور فيه .

ربانيون لا رهبانيون

بل ذلك الفقه هو الربانية التى أغرينا بها فى قول الله سبحانه : — (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون ٧٩ آل عمران .

١ — والربانى قد يكون منسوبا الى الرب . فالكلمة — حينئذ — توحى بالثراء ، والعطاء ، والاقتداء بالرب سبحانه فى التيسير ، وسداد التدبير (١) . كما تنم عن الحكمة ، والالتزام .

٢ — وهى تحمل فى تضاعيفها معانى « التربية » القائمة على التدرج والتوسل الي المقصود بصغار العلم قبل كباره الأمر الذى يتطلب فقها ، وسياسة (٢) .

٣ — وربما كانت الكلمة — كما اثر عن المبرد — جمعا واحدها « ربان » من قولهم رب يرب فهو ربان اذا دبر وأصلح ، وبنى على علم ، فهي — اذن — توحى بالاصلاح، وتدبير أمور الناس ، الأمر الذى يتطلب بصرا ، وحذقا ، ومعرفة بمشاكل التطبيق مع العلم بالحلال ، والحرام ، والوقوف على انباء الأمم ، وما كان ، وما يكون (٣) .

٤ — وجماع كل هذا ما قيل من أن الربانى هو الذى يجمع الى العلم البصر بالسياسة ، ويربط الحاضر بالماضى مستعينا بالفراسة ، وحسن القياس ، والالمعية .

٥ — ومراعاة لأبعاد الكلمة قالوا : — الربانيون فوق الاحبار(٤)، لأن الحبر قد لا يتجاوز العلم الى البصر بالسياسة ، وحسن تناول الأمور ، ومعرفة الداخل ، والخارج.

---

(١) نقل هذا عن ابن عباس .
(٢) روى معني هذا عن عبد الله بن مسعود .
(٣) روى هذا عن ابى عبيدة .
(٤) روى هذا عن مجاهد ، وحسنه النحاس .

هذا .. ومن النماذج العليا الربانية حبر الأمة ، عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقد تميز بفقه النظرية ، وسداد التأويل ، واستيعاب مشاكل التطبيق . قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس : — « اليوم مات ربانى هذه الأمة » .

كل تلك المعانى تستشعرها اذا استرجعت الآيات الكريمة التى وردت فيها الكلمة .

ا — وردت فى قول الله : — « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ، والحكم ، والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون » آل عمران ٧٩

والآية تنزيه للأنبياء عن الاسفاف ، والميل ، والانصات لصوت الطين ونزعاته الدنيا التى تغر ، وتغرى بالتعالى . وتنزيه كذلك للدعاة « ورثة الأنبياء » عن أن يحيدوا عن دروب العلم ، والحكمة ، واخلاق الأنبياء . وعلة ذلك التنزيه انهم اوتوا اسباب السداد ، والنزاهة ، وهدوا الى الصراط « الكتاب والحكم والنبوة » والأنبياء — بما عندهم من ذخائر — على قمة شامخة فلا يتهافتون ولا يستفون ، بل يحرصون على ايجاد الصف الثانى والعروج بهم الى قمة تالية تتيح لهم وضوح الرؤية والحركة الرشيدة السديدة على ضوء الكتاب والحكمة وتراث النبوة . والصف الثانى الذى يسلك درب الأنبياء هم الربانيون المتحلون بكل معانى الكلمة . ان كلمة « كونوا ربانيين » تنهض بالدعاة كى يرتفعوا الى الذروة التى تليق بورثة الأنبياء .

ب — ووردت فى قول الله « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء ....) المائدة ٤٤

والآية رتبت العاملين فى ساحات الدعوة ترتيبا تنازليا « النبيون ، الربانيون ، الأحبار » وذكرت — كذلك — من اسباب السكينة ، والطمأنينة ، والسداد : الحكم والهدى والنور . وذكرت تمكنهم من الكتاب تمكنا يتيح لهم وضوح الرؤية وصدق الشهادة ، والحفاظ على الوديعة والاعتزاز بالمولى اعتزازا تهون معه المخاطر ، وتتضاءل الأقدار « اقدار المتربصين » (... بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس ، واخشون ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ...) ان الربانيين فى الآية هم الصف الثانى .

جـ ـ ووردت فى قول الله (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم ، ولبئس ما كانوا يصنعون) المائدة ٦٣

والآيـة جاءت بين آيات تعالج أمراضا عقدية ، واخلاقية اجتماعية تفشت فى مجتمعات أهل الكتاب فى غيبة الأنبياء ، وتستحث الصف الثانى « الربانيين» والصف الثالث «الأحبار» كى ينهضوا ضد هـذه المنكرات ، ويحملوا رسالة الأنبياء .

ومواجهة الأمراض الاجتماعيـة تتطلب احتكاكا بالمجتمع وعلما بالنفسيات ، واحاطة بالدوافع والظواهر ... الخ تتطلب خبرة ، وبصرا ، وسياسة .. تتطلب ربانية .. ان الربانى (١) يضيف الى العلم اليقظة والفطنة والحكمة والحركـة البصيرة التى تملأ أنحاء المجتمع .

والرهبانية ؟

الكلمة مأخوذة من « رهب » بمعنى خاف ، فهى نسبة الى الرهبان (بفتح الراء المشـددة) وهـو الخائف . والخوف اذا طوى فى تلافيفه والتقم بأضراسه وفكيه وتمكن حتى أمسى سمة ونسبة طغى وأذاب واغرق الشخصية ، والرهبانية ـ فى أحسن معانيها ـ لا تعـدو المبالغـة فى الرياضـة ، والافراط فى العبـادة والانقطاع ـ جسميا أو فكريا ـ عن الناس ايثارا للعزلة وعجزا عن مجاراة الحياة . فهى اذن هروب من السلبية وانطواء فى مفاهيم معتمة ضيقة ، وايثار للشلل على الحركة . وحمل للنفس ـ على غير سجيتها ـ على العزوف عن زينة الله التى اخرج لعباده بالامتناع عن المطعم ، والمشرب ، والنكـاح وبالتعلق بالصـوامع ، والكهوف ، واكنان الجبال . ولا نزاع فى ان هـذا تزمت يأباه الاسلام ، وتقوقـع يفضى الـى الجمـود ، والتبتل (٢) المؤدى .

وبقدر ما تجـد فى الربانية من انتشار ، وتجليق ، واتزان ، وسعة افق ، تجد فى الرهبانية انطواء ، وانغلاقا ، واختلالا ، وضيق افق . هى اذن عقدية ، وفكرية ، وحضارية . والاسلام يرفض كل انواع الردة ، ويرى ان الارتداد الحضـارى او السلوكى مشى على الفهقرى . والصحابة كانـوا يحذرون من ان يأتوا عملا يشبه الارتداد الحضارى .

---

(١) اذا اتفقنا على ان الكلمـة نسبة الى الرب فأصلها : ربى . وزيدت الالف والنون للمبالغة كمـا يقال : روحانى وعلمانى ، ومادانى ، ولحيانى لعظيم اللحية .

(٢) التبتل الانقطاع .

ومصداق ما روى عن سلمة بن الاكوع انه دخل على الحجاج فقال له : (يا ابن الاكوع : ارتددت على عقبيك ؟ تعربت ؟ قال : لا ولكن رسول الله اذن لى فى البدو) . وكانوا يرون من رجع بعد هجرته اعرابيا مرتدا اخذا من حديث رسول الله : « لعن الله آكل الربا ، وموكله، ومن رجع بعد هجرته أعرابيا » .

وايثار سكون البادية على حيوية الحضر — بلا داع شرعى — نوع من الرهبنة والتبتل لا يقرها الاسلام.

ورهبانية ابتدعوها

والرهبانية وان صاحبها حسن النية بدعة مذمومة وهروب من معمة الحياة المكتوبة على الناس (. . . . الذى خلق الموت ، والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا . . .) الملك .

والآية الكريمة (. . . . ورهبانية ابتدعوها . . ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) الحديد .. تقص قصة مؤمنين جبنوا عن مواجهة الشر ، ومقاومة الطغيان فآثروا السلامة واعتزلوا . نقل الضحاك من رواية عن ابن عباس أن ملوكا من بعد عيسى فجروا ، واجرموا ، وعصفوا بالآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وداخلت الرهبة بقية باقية من الملتزمين ففروا ، واتخذوا الصوامع وتخلوا عن الدعوة وجمدوا فى قواقعهم فلم ينتشروا ، وكانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا، ويبتغون بما ابتدعوا رضوان الله . وهؤلاء بصنيعهم هذا ارتكبوا عدة جرائر : جريرة التخلى عن الموقع والرسالة ، وجريرة الابتداع ، وجريرة المظهرية والتنازع على الرياسة . وليتهم حين عزموا اظهروا رجولة وصلابة بل سرعان ما اخلوا ، واهملوا .

روى أحمد عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : — (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية من سراياه فقال (مر رجل بغار فيه شىء من ماء ، فحدث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار ، فيقتات بما فيه من ماء ويصيب مما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا . قال : لو انى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فان اذن لى فعلت ، وان لم يأذن لم افعل . فأتاه فذكر له الأمر فقال صلى الله عليه وسلم : انى لم ابعث باليهودية، ولا بالنصرانية ، ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة ، والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها . ولمقام أحدكم فى الصف الأول خير من صلاته ستين سنة) ان المسلم لا ينبغى له أن يتبتل بجسمه كيف والاسلام فى

مسيس الحاجة الى قواه ، وطاقاته وغدوه ، ورواحه .

ولا ينبغى له ان يتبتل بفكره ، لأن معترك الحياة هو الرافد الذى يمد ، ويروى الأفكار ، واحتكاك الأفكار بالأفكار يجلوها ، ويغذوها ، ويكسبها المضاء . والتفتح على آيات الآفاق وصفحات الكون التى تنشر يجدد الدم ، ويكفل حسن التجاوب مع عالم يتطور كل يوم .

والرهبانية لا يوجد سند لها فى الكتب المقدسة الأولى ، ولا فى سنة الأنبياء عليهم السلام ، بل ان الناظر فى سيرة المسيح وأصحابه ليجد ما يضاد هذه النزعة التبتلية . وهذه الروح الانعزالية لم تظهر فى الكنائس الا فى أواخر الجيل الثانى ، وأوائل الجيل الثالث .. منتقلة اليها من الهنود الوثنيين (١) .

ولا يهمنى — هنا — ان أتعرض لتفاصيل الرهبانية والاعتزال ، والتقشف ، والتبتل .. الخ فكلنا يعرف انه لا رهبانية فى الاسلام ، وأن قدر المسلمين الجهاد الجهير مصداق ما اخرجه أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (. . . والجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل (٢) . . .)

ولكن الذى يهمنى — هنا — ان احذر من تبتل جديد طوى بعض الناس فى أسمال بالية ، فبدوا جامدين مشتملين بأسمالهم اشتمال الصماء ، وفقدوا القدرة على المواءمة بين أسمالهم ، وبين مطالب الحياة العصرية . وهذه الرهبانية الجديدة تختلف عن رهبانية الصوامع ، وتبتل الكهنة ، ودعاوى المتصوفين . ولكنها تتفق معها فى النتائج . فكلاهما اغماض عن الواقع ، وايغال فى الغفلة ، وعجز عن التكيف بالأجواء والانسجام مع موكب الحياة الحافل بكل بديع .

بخارى احمد عبده

---

(١) انظر محاسن التأويل ص٥٦٩٨ من الجزء السادس عشر . ففيه تناول شاف لقضية الرهبانية نقلا من مؤلفات علماء المسيحيين المتأخرين .

(٢) فى سنده « يزيد بن أبى نشبة » وهو مجهول لكن معنى الحديث صحيح .

بَابُ السُّنَّة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

حكم عمل المخطيء والناسي

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) متفق عليه ورواه ابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه .

معاني المفردات

تجاوز — عفا وتسامح ، وصرف المؤاخذة عن المسيء .

أمتي — الأمة الشعب العظيم من الناس ، وأمة محمد هي التي آمنت برسالته ، واتخذته أسوة وقدوة ، وأمة التوحيد هي التي لم تشرك بالله شيئا ، وأمة القرآن هي الأمة الاسلامية التي استضاءت بنور القرآن ، فعملت به ، وأحلت حلاله وحرمت حرامه ، ونظمت أمورها على شريعته .

الخطأ — أن يفعل الانسان عملا من غير قصد ولا نية .

النسيان — عدم تذكر الشيء ، والسهو بمعناه أيضا .

المعنى

كل عمل بنية من فاعله : يثاب عليه ، أو يعاقب عليه . قال تعالى

(من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . وقال تعالى في عمل السيئة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال جل شأنه في آية الأنعام (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون).

والعمل الصالح يشترط في فعله صحة الايمان ، وسلامة العقيدة ، فمن عمل صالحا بعقيدة فاسدة ، كأن يصرف دعاءه الى غير الله تعالى . فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين ، لأن العمل مشروط بصحة الايمان . قال تعالى (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

ومن رحمة الله بعباده أن جعل السيئة بمثلها ما لم يتداركها فاعلها بالاستغفار والتوبة الى الله تعالى . قال جل شأنه (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما)

غير أن هناك أعمالا محرمة ، لا يؤاخذ الله عليها فاعلها ولا يعذبه على ما ارتكب من الاثم ، وهذه الأعمال حصرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ثلاثة من الناس ، ورفع عنهم آثار أفعالهم .

١ ـ صدور العمل من المخطىء دون قصد .

٢ ـ عمل الناسي

٣ ـ المكره على فعل شيء بغير ارادة منه .

فالمخطىء دون قصد : كمن قتل نفسا خطأ ، أو أخطأ الصائم عند المضمضة فدخل الماء الى جوفه دون قصد ، أو أكل الصائم في يوم غائم قبل الغروب ظنا منه أن الشمس غربت .

قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم) . وفي اجتهاد العالم أو الحاكم : اذا اجتهد أحدهما فأصاب كان له أجران . واذا اجتهد وأخطأ فله أجر .

ودليل ذلك ما روي عن عمرو بن العاص : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول (اذا حكم الحاكم ثم اجتهد فأصاب فله أجران ، واذا

اجتهد وحكم فأخطأ فله أجر) متفق عليه .

أما الناسي : كمن أكل أو شرب أثناء صيامه ناسيا ، فانما أطعمه الله وسقاه . أو نسي في صلاته شيئا لا يبطلها ، كمن نسي رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام ، أو نسي التكبيرات الزوائد في صلاة العيد ، او نسي التورك في جلسة التشهد الأخير ، أو نسي افتراش قدمه اليسرى في الجلوس بين السجدتين ، أو في الجلوس للتشهد الاول . فان ذلك لا يبطل الصلاة ولا يحتاج الى سجود السهو . أما اذا نسي الجلوس للتشهد الأول فصلاته صحيحة ، وعليه سجود السهو بعد الصلاة .

واذا نسي صلاة حتى خرج وقتها ، فلا شيء عليه الا قضاؤها . لقوله صلى الله عليه وسلم (من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها . لا كفارة لها الا ذلك) .

فالنسيان ترك التذكر بلا قصد ، ثم العلم بالشيء بعد النسيان ، فهو غير مؤاخذ على نسيانه ، لأن النسيان عمل غير ارادي ..والله تعالى العليم بخلقه ، والذي ركب النفوس فيها ، أنزل دعاء يحب أن يسمعه منا . فقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا)

وليس معنى رفع الاثم عن المخطيء والناسي : أنهما يعفيان عن الحقوق التي للعباد . اذ يجب على المخطيء والناسي ضمان حق الغير ، كالدية في حق من قتل مؤمنا خطأ .

ولا يعتبر نسيان الدائن لحقه ، سبيلا لأن يأكل المدين مال دائنه . فمن أدى دينا خفيا راقب ربه ، وأعد عدته ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وأما الاكراه على فعل شيء في قوله صلى الله عليه وسلم : (وما استكرهوا عليه)

فاذا حلف الانسان ألا يدخل مكانا معينا ، ثم ارغم ارغاما بالقوة فحمله أشخاص وأدخلوه في هذا المكان .. فلا كفارة عليه .

واذا كان المكره لا يقوى على الامتناع ، كاكراه الزوج لزوجته على مباشرتها في صيام التطوع ، فلها أن تستجيب لزوجها ولا شيء عليها

أما اذا أكرهها على ذلك فى صيام رمضان ، أو النذر المعين ، فلا تستجيب له • ومن أكره انسانا على تعذيب انسان آخر مظلوم فحرام على المكره (بفتح الراء) أن يستجيب • وان استجاب للظالم فهو والظالم فى الاثم سواء كما كان يفعل بالمؤمنين فى عهود الطغاة حيث كان الابرياء يزج بهم فى السجون بغير ذنب الا أن يقولوا ربنا الله • فيتولاهم الزبانية بالضرب والتعذيب والسب والاهانة ولا يفعلون ذلك الا ارضاء للحاكم • الا ساء ما يفعلون • والظلم ظلمات يوم القيامة •

ولو أكره على قتل معصوم الدم ، فانه لا يحل فعل ذلك تحت تأثير الاكراه • والافهو والحاكم الذى أكرهه على القتل شريكان فى الاثم والقصاص •

واذا أكره رجل على الزنى وهتك العرض فلا يستجيب ، بخلاف المرأة التى تختطف او تغتصب وتكره على الزنى فى عهود الفوضى الأخلاقية ، فلا اثم عليها • والاسلام يقضى بقتل من اغتصب امرأة وأكرهها على الزنى •

ومن أكره على التلفظ بالكفر والسيف مسلط على رقبته ، فعليه أن يفتدى نفسه بالتلفظ المكره عليه ، ولا اثم عليه ، ما دام قلبه مطمئنا بالايمان • قال تعالى (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وعلى ذلك فالقول الذى يصدرمن المكره (بفتح الراء) لا يؤاخذ عليه • ويعتبر لغوا لا عبرة به • وهو واقع فى عفو الله تعالى فى الدنيا والآخرة لأنه فعل الفعل بدون ارادة منه

ما يستفاد من الحديث من أحكام

١ ــ المخطىء والناسى والمكره لا اثم عليهم ، لأن الارادة حين الفعل كانت مفقودة • ولكن يجب عليهم الضمان لصاحب الحق •

٢ ــ لا يباح للمكره أن يقتل أو يزنى •

٣ ــ المرأة المغصوبة أو الفتاة المخطوفة ، المعتدى على عرض أحدهما لا شىء عليها • ويقضى الشارع الحكيم بقتل الخاطف الزانى •

٤ ــ هذا الحديث أصل من أصول الدين حيث وضح اصلا من أصول التشريع والله أعلم

محمد على عبد الرحيم

باب الفتاوى

يجيب على أسئلة هذا العدد فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام للجماعة

يسأل القارىء س . س . س . من أجهور الرمل ، قويسنا محافظة الأسئلة التالية :—

١ — يوجد رجل متزوج فى القرية ، زوجته منتقبة . وهذا شىء غريب بالنسبة للقرية وغير مألوف من قبل .

فهل النقاب سنة أم فرض . وما الدليل على ذلك ؟

٢ — هذا الرجل يسكن فى بيت منفصل ولا يقيم معه أحد ، ويقول ان أخ الزوج يجب ألا يرى زوجة أخيه فما الدليل على ذلك ؟

٣ — ما أهم الكتب التى يجب قراءتها بالنسبة للنساء بعد كتاب الله عز وجل ؟

الجواب

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم ومن اتبع هداه الى يوم الدين .

١) بالنسبة للسؤال الأول : نقول وبالله التوفيق .

ان النقاب وارد فى القرآن الكريم فى سورة الأحزاب ، حيث قال الله عز وجل (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) والقصد من ذلك ألا يرى رجل أجنبى (ليس من المحارم) وجهها ولا شيئا من بدنها .

وجاء فى سورة النور قول الله عز وجل (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) قيل فى تفسيرها . (المراد به الوجه والكفان فانهما ليسا بعورة . وقد قيدها بعض المفسرين بأن هذا فى الصلاة لا فى النظر . فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شىء منها

الا لضرورة كالمعالجة والشهادة امام القاضى .

ثم قال الله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اى وليلقين الخمار وهو غطاء الراس على صدورهن .

ومن الحاجة الى كشف وجهها : عند الخطبة (بكسر الخاء) ليراه الخاطب الراغب فى الزواج ، وعند المحاكمة ، وفى الاحرام للحج فى غير حضرة الرجال . قالت عائشة رضى الله عنها (كان الرجال يمرون علينا فلستر وجوهنا فاذا جاوزونا رفعنا الستر عن وجوهنا) .

وذهب بعض المفسرين الى أن المقصود من ذلك ما جرت به العادة بانه لا يستر وهو الوجه والكفان . ذهب الى انهما ليسا بعورة واحتج لذلك بأن المراة لا تستر وجهها فى الحج .

والاحوط للمراة وخاصة الفتيات اللائى يلفت النظر بحسن الصورة ، أن يكون النقاب من النوع الذى يستر نصف الوجه الاسفل بحيث تبدو العينان لتمشى فى الطريق دون تكلف .

أما عورة المراة فى الصلاة ففى الحديث (المراة عورة) رواه الترمذى وروى ابو داود : قال صلى الله عليه وسلم (لا تقبل صلاة حائض الا بخمار) والحائض : هو علامة البلوغ فى النساء . والخمار هو المغطى لراسها . والله اعلم

٢ ــ اما الاجابة عن السؤال الثانى : نقول وبالله التوفيق :

ان اخ الزوج ليس بمحرم . ولا يجوز ان يراها الا كما يراها الاجنبى، ولا يختلى بها . ويسمى اخ الزوج فى الشرع (الحمو) ، سئل النبى صلى الله عليه وسلم : ارايت يا رسول الله الحمو . فقال الحمو (بتسكين الميم) هو الموت . اى وراءه الشر . وهذا نهى صريح من الرسول صلى الله عليه وسلم . والله اعلم

٣ ــ الكتب التى تناسب النساء لتستفيد منها : ان كتب السنة عامة هى للرجال والنساء وليس للنساء كتب خاصة . اللهم الا بعد ان استشرى الشر ، وانتشر التبرج . قامت سيدة فاضلة والفت كتاب التبرج للسيدة حرم الدكتور رضا . والله اعلم

* * *

ورد الى المجلة من القارىء الكريم / عبد الوهاب احمد الداودى من ديمشلت مركز دكرنس / دقهلية السؤالان التاليان :ــ

س ١ ما الفرق بين البدعة الشرعية ، والبدعة اللغوية ؟

س ٢ ما حكم الدين فى الموالد التى تقام للاولياء . وهل الموالد بدعة؟

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين وأصحابه الكرام وبعد

ج ١ ــ البدعة الشرعية : هى ما حدث فى الدين واستجد بعد الاكمال . فقد أتم الله على النبى النعمة وأكمل له الدين وانزل عليه قوله الكريم فى حجة الوداع (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فما استجد من الأهواء والاعمال ، وما استحدث فى الأذان والأذكار وتلاوة القــرآن والأوراد : بدع مردودة على أصحــابها لقــوله صلى الله عليه وسلم (من أحدث فى أمرنا هذا (أى الدين) ما ليس منه ، فهو رد) رواه البخارى وغيره . وقال صلى الله عليه وسلم (تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك)

فيا أيها السائل : لا شىء أفسد للدين ، واشد تقويضا لبنيانه من البدع . واهل البدع يزين لهم الشيطان ما فعلوا ويحســبون أنهم يحسنون صنعا .

مثال ذلك :ــ التغنى فى الأذان ، والترنيم بالقــرآن ، وحلقات الأذكار بأصــوات منكرة مع التمايل يمينــا وشمالا ، والتواشيح التى تنطوى على الاطراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل (لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم) وكل ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين : لا يجوز ان يزاد عليه او ينقص منه بحجة قولهم بدعة حسنة . فلا يوجد فى الدين شىء اسمه بدعة حسنة لما جاء فى ذلك من الأحاديث الصحيحة .

١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر ويقول (أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) رواه مسلم وزاد النسائى وكل ضلالة فى النار .

٢) روى الدارمى عن ابن مسعود رضى الله عنه (أنه رأى جمــاعة يسبحون ويحمدون ويكبرون جماعــة فقال لهم : لقد جئتم ببدعة ظلما ، أو فقتم محمدا وأصحابه علما)

٣) وقال ابن مسعود (اتبعــوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) رواه الدارمى فى سننه

٤) وروى أبو داود عن حذيفة قال (كل عبادة لم يتعبدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتعبدوها فان الأول لم يدع للآخر مقالا)

٥) وقال مالك رحمه الله تعالى (من ابتدع فى الدين بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة . لأن الله يقول

(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا)

فالحذر كل الحذر من استحسان البدع فى الدين . لأن اهل البدع فى الدين مطرودون عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واما البدعة اللغوية : فهو كل محدث جديد سواء كان فى الدين او الدنيا فما كان فى الدين فهو :ـ

١) يؤدى الى الكفر : كالطواف حول الأضرحة ، والتوسل بهم وكاتخاذ القبور مساجد (لقوله صلى الله عليه وسلم (لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور انبيائهم مساجد . الا فلاتتخذوا القبور مساجد انى انهاكم عن ذلك .

٣) مكروه : كالكتابة على جدران المسجد ولو كانت آيات من القرآن لأنها قد تشغل بال المصلى .

اما البدعة فى الدنيا : فهى حلال مما لم تكن اثما . فالمستحدث من التليفونات ووسائل المدنية الحديثة من مواصلات وغيرها ، والمطعومات الحديثة واستعمال الملاعق والشوك فذلك كله حلال ما تجنبنا ما حرم الله تعالى من ذهب وخمر وحرير ولحم خنزير وما الى ذلك اللهم الا ما نص عليه الدين من تحليل الذهب والحرير للنساء دون الرجال . والله اعلم

٢ ـ اما السؤال الثانى عن بدعة المولد النبوى الشريف ، وموالد الأضرحة بالمساجد المسماه بالأولياء فنقول وبالله التوفيق :ـ

من غير شك ان اقامة الموالد سواء للنبى صلى الله عليه وسلم او للاضرحة بالمساجد المسماه من عند الناس بالأولياء او العارفين بالله . الى غير ذلك من الأسماء التى اطلقوها على الأضرحة ، جريا وراء المنافع الذاتية كالنذور وغيرها ... هذه الموالد بدعة محرمة ، فبالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم ، قال عليه الصلاة والسلام (اللهم لا تجعل لقبرى عيدا، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) رواه مالك وابو داود .

فالتحذير واجب فى امرين : ـ

١ ـ عدم اتخاذ عيد ميلاد (مولد) لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ عدم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد .

فان كان الباعث على الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم اظهار المحبة له ، فتلك محبة كاذبة يتظاهر بها السذج من الناس ، وتاركو الصلاة ، والفسقة والمخنون والمطربون ، ومن سار على منوالهم

من ارباب الطرق الصوفية ، الذين ما من بدعة فى الدين الا ابتدعوها واشاعوها وحثوا الناس عليها .

هؤلاء جميعا يتظاهرون بمحبة النبى صلى الله عليه وسلم فى مولده بالقاء القصائد والمدائح الكاذبة ، وانفاق الاموال فى اقامة الزينات بحجة العمل على اشهار النبى صلى الله عليه وسلم كما تفعل الامم الاخرى بانبيائهم ، فذلك جهل بالدين ومشاقة لهدى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

فمحبته تتمثل فى الاتباع لسنته ، لا فى التعريج والمواكب الصاخبة ، محبته تقتضى العمل بدينه ، والرضا بحكمه ، والامتثال لامره ، واتخاذه اسوة حسنة فى كل ما قال وفعل .

واذا كانت الموالد بدعة مستحدثة ، فقد حذر صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال (من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه . وقال (شر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) (وكل ضلالة فى النار) رواه النسائى وغيره .

واذا كان الاحتفال بمولد الرسول بدعة يجب اجتنابها ، فالاحتفال بموالد غيره ولو كانوا صالحين بدعة محرمة بنص الحديث الشريف .

والله أعلم .

* * *

جاءنا من القارىء الكريم / محمد عبد الرشيد أبى اليزيد بقرية قيرا محافظة كفر الشيخ ما يلى : ــ

ما هو التوسل ؟ وهل التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين جائز ؟ وذلك بقصد التبرك بهم .

وهل كلمة بحق النبى صلى الله عليه وسلم أو بحق فلان فيها شرك بالله أم لا ؟ نريد التوضيح الكامل ونشره فى مجلة التوحيد .

الجـــواب

بسم الله والحمد لله والصــلاة والسلام على رسوله الامين صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين

التوسل معناه :ــ التقرب الى الله رب العالمين بمــا شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال فى القاموس المحيط : الوسيلة والواسلة : المنزلة والدرجة والقربة ، ووسل الى الله تعالى توسيلا عمل عملا تقرب به اليه . اهـ وقال الراغب الاصفهانى فى معنى (وابتغوا اليه الوسيلة) حقيقــة الوسيلة الــى

الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة ـــ اهـ وقال الامام الطبري في تفسيره للآية (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) آية ٣٥ من المائدة .

يقول رحمه الله تعالى : اطلبوا القربة اليه بالعمل بما يرضيه .

والوسيلة : الفعيلة . من قول القائل : توسلت الى فلان بكذا بمعنى تقربت اليه .

التوسل الشرعي والتوسل الشركي

وسؤال السائل : هل التوسل بالانبياء والأولياء والصالحين جائز أم لا ؟ وذلك بقصد التبرك بهم .

اعلم يا أخي أن التوسل نوعان : نوع مشروع ، ونوع ممنوع . فالتوسل المشروع ، ينحصر في ثلاثة أمور :ـــ

١) التوسل بأسماء الله الحسنى : وهي أسماء سمى الله بها نفسه وحسنها ، ويحب أن ندعوه بها . قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) كأن تقول : ياغفار اغفر لي ، يارحمن ارحمني ، ياتواب تب علي ، يا لطيف الطف بي .

٢) النوع الثاني من التوسل : أن تتوسل الى الله بعملك الصالح . كما توسل أصحاب الغار الثلاثة بصالح اعمالهم .

روى البخاري ومسلم وغيرهما : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار ، فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعو الله بصالح اعمالكم . قال رجل منهم : اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا (أي لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلا ولا أحدا) فناى (بعد) في طلب شجر يوما . فلم أرح (بضم الهمزة وكسر الراء) ـــ أي لم أرجع ـــ عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا . فلبثت (مكثت واقفا) والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، والصبية يتضاغون (يصيحون من الجوع) عند قدمي ، فاستيقظا فشربا غبوقهما . ثم قال : اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه . قال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الآخر: اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها،

فامتنعت حتى ألمت (افتقرت وجاعت) سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلى بينى وبين نفسها . ففعلت حتى قدرت عليها . وفى لفظ حتى وقعت بين رجليها . قالت يا عبد الله : اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه . فقمت عنها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة . ففرج لهم . وقال الآخر : اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق (مكيال معروف بالمدينة) أرز فلما قضى عمله قال اعطنى حقى . فعرضت له فرقه ، فرغب عنه (ابى أن يأخذه) فلم أزل أزرعه ، حتى جمعت بقرا ورعاءها . فجاءنى فقال : أد الى اجرى . فقلت له : كل ما ترى من الابل والبقر والغنم أجرك . فقال : اتق الله يا عبد الله ولا تهزأ بى . فقلت : انى لا أستهزىء بك . فأخذه وذهب به . اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى . ففرج الله ما بقى ، فخرجوا يمشون)

فكل واحد من هؤلاء الثلاثة توسل الى الله تعالى بعمل صالح واستجاب الله دعاءه .

٣) النوع الثالث من التوسل : بالدعاء : من الداعى لنفسه أو لغيره — أو كان يسأل غيره من الصالحين ليدعو له — فقد عزم عمر بن الخطاب على اداء العمرة ورآه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : لا تنسنا من دعائك ياأخى. فقد توسل النبى صلى الله عليه وسلم بدعاء عمر .

ومنه التوسل بدعاء الوالدين . ومنه سؤال الله تعالى بالأعمال الصالحة ، كالايمان والصلاة الطيبة والصيام الصحيح ، والزكاة والحج وحسن المعاملة .

وبدلا من أن يقول : يارب بحق النبى صلى الله عليه وسلم أو بحق فلان ... يقول اللهم بايمانى بنبيك صلى الله عليه وسلم : أن تحقق رغبتى وتقضى حاجتى . لأن الايمان من كسبك ومن عملك والتوسل به جائز ومطلوب . أما بحق فلان فالدعاء موقوف وغير مقبول ولا يصعد الى السماء ، لأن الدعاء على نظام البدعة هو من الضلال وكل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة .

والتوسل بالقرآن العظيم مشروع لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال (القرآن شافع مشفع) على شريطة أن يقرأه القارىء . أو يقرأ ما يتيسر منه ، ثم يسأل الله بما شاء . ومن الادعية المأثورة (اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم ، واجعله لى اماما ، ونورا وهدى — اللهم اجعل القرآن ربيع قلبى وجلاء همى وغمى) — ولا يجوز أن تتوسل بقرآن يقرأه غيرك لأن تلاوة القرآن عبادة ، والعبادة يجب أن تكون مشروعة ومطابقة لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم والله أعلم

محمد على عبد الرحيم

والفرقان الرحمن

بقلم : أحمد دهيم سالم

المتأمل فى حكمة الله سبحانه وتعالى فى تنظيمه لشئون خلقه يرى عجبا ، يرى أن الله قد فضل بعض النبيين على بعض ، وفضل بعض الناس على البعض الآخر ، وفضل بعض الأيام على غيرها ، وفضل بعض الليالى على بعضها ، وكذلك فضل بعض الأماكن على غيرها .

نراه فى تفضيل بعض النبيين على بعض يقول سبحانه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) الاسراء ، وفى تفضيله بعض الناس على بعض يقول سبحانه (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . ورحمة ربك خير مما يجمعون) ٣٢ الزخرف ، وفى الصحيح (لو وزن ايمان الأمة بايمان أبى بكر لرجح ايمانه) .

وعندما يفضل الله بعض الأيام على غيرها نراه يفضل يوم الجمعة (اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) وكذلك يوم عرفة ، ويومى الفطر والأضحى وفى تفضيل الليالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وفى تفضيل بعض الأماكن على غيرها (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) البلد . (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) آل عمران . وفى الصحيح (صلاة فى مسجدى هذا بألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام) .

وحتى حينما يموت الناس فاننا نرى استقبال الله لروح عبد يخالف استقباله لروح عبد آخر . فالذين ماتوا وهم كفار قال الله

فيهم (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى (بالبناء للمجهول) بالجنازة ليصلى عليها فيسأل أهلها (مستريح أم مستراح منه ؟) . لكن صاحب هذا الحديث له شأن آخر .

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) رواه البخاري ومسلم .

انه سعد بن معاذ سيد الأوس ، وهو من السابقين الى الاسلام من الأنصار ، وقد كان بطلا شجاعاً ، ومجاهدا مغوارا لا يخشى فى ربه لومة لائم .

تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : انها خرجت يوم غزوة الخندق تتابع الجنود فرأت فى الطريق سعد بن معاذ وعليه درع من حديد قد برزت منها أطرافه فجلست عائشة ومر سعد يرتجز حتى بلغ مكان الجهاد .

وشاء الله أن يصاب سعد بسهم فى عرق له يسمى (الأكحل) وحمل رضى الله عنه الى خيمة بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم للتداوي . ودعا سعد ربه فقال (اللهم ان كنت قد أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، وان كنت قد وضعت الحرب بيننا فاجعلها لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بني قريظه) .

وبنو قريظة قوم من اليهود جاوروا الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة وعاهدهم على ألا يخونوه أو يخونوا المسلمين . لكن بني قريظة نقضوا العهد وتآمروا مع المشركين ضد النبى وأصحابه فتمنى سعد أن يبقيه الله حياً حتى يشهد لحظات انتقام الله منهم ، وقد كانوا من حلفائه وموالية قبل الاسلام . لكن الله عز وجل يرفع بالإسلام قوما ويضع به آخرين .

ظل اليهود على نقضهم لعهد النبى صلى الله عليه وسلم وتآمرهم مع المشركين • حتى كان اليوم الذى حاصر فيه النبى صلى الله عليه وسلم بنى قريظة ، وقد غبتوا أمام النبى صلى الله عليه وسلم فى بادىء الأمر لوفرة عدتهم ومتلهم •

ولما طال الحصار هتف على بن أبى طالب رضى الله عنه فى رفقته من المؤمنين قائلا : يا كتيبة الايمان • والله لأقتحمن عليهم حصونهم أو لأذوقن ما ذاق حمزة بن عبد المطلب • ولم يستطع اليهود مقاومة النبى وأصحابه فاستسلموا وأخذوا يتوسلون ويطلبون العفو من النبى عليه الصلاة والسلام • فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد أسرهم وشد وثاقهم أن يختاروا لهم من الصحابة رجلا ليحكم فيهم بالعدل •

ظن اليهود أن سعد بن معاذ الذى كان حليفهم فى الجاهلية هو أصلح الناس لتلك المهمة فاختاروه ، وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وكان سعد قد دعا ربه قائلا (اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة) فانقطع النزيف ولم يعد الدم يسيل بعد ذلك • فلما كان يوم اختاره اليهود ليحكم فيهم وجىء به الى الرسول صلى الله عليه وسلم محمولا على الدابة ، وعندما رآه اليهود أخذوا يتملقونه ويترددون اليه طمعاً فى تخفيف الحكم عليهم ، ولما أكثروا عليه الكلام قال سعد : لقد آن لسعد أن يحكم بحكم الله وألا تأخذه فى الله لومة لائم • وبعد أن استوثق سعد من أن الفريقين سينزلان على حكمه ورأيه دون معارضة عندئذ قال : انى احكم فيهم بأن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء •

عند ذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات) •

بعد انتهاء سعد من حكمه العادل فيهم عاد يدعو الله عز وجل فيقول اللهم انك تعلم أنه ليس هناك شيء أحب الى من أن أجاهد في سبيلك قوماً كذبوا رسولك وأخرجوه • اللهم ان كنت قد وضعت الحرب بيننا فاجعل موتي فيها (يعني جرحه) وان كنت قد أبقيت من حربه قريش شيئاً فأبقني لها حتى أجاهدهم فيك وقد كانت الثانية • فقد انزل الله تعالى قوله (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال • وكان الله قويا عزيزا) ٢٥ الأحزاب •

كان ذلك اشارة الى وضع الحرب بين الفريقين • واستجاب الله لدعاء سعد رضي الله عنه فانفجرت الدماء من جراحه وسالت في فراشه حتى رآه من رآه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفاضت روح سعد لتلتقي بربها وليكتب له أجر الشهداء • ولما مات سعد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الى وجه سعد رضي الله عنه (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) وسارت جنازة سعد الى قبره ، ودفن سعد ، وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم الى قبره وقال : سبحان الله (مرتين) فسبح المسلمون معه • ثم كبر النبي (مرتين) فكبر المسلمون معه ثم قال عليه الصلاة والسلام (ان للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ)

وحينما بكت أم سعد (كبشة بنت رافع) وهي أول صحابية بايعت النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار ــ حينما بكت سعداً وقالت (احتسبتك عند الله عز وجل) قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا تزيدي على هذا ــ ليرقأ دمعك ، وليذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له) •

ان الذي صدق الله تعالى حتى صدقه قد استحق أن يهتز له عرش الرحمن فهل اعتبر أولو الألباب ؟

أحمد دهيم سالم

سوق المرض

بقلم : الأستاذ الدكتور أمين رضا
أستاذ بمركز بحوث الفيروسات والتطعيم بالمصل بجامعة الإسكندرية

في أغلب مدن العالم وفي أغلب حقب التاريخ تجد سلعا من نوع واحد أو من أنواع متقاربة متجمعة في أسواق خاصة . فتجد مثلا سوقا للخضر وأخرى للفاكهة وثالثة للملابس . وتجتاز شارعا فتجده كله متخصصا في اصلاح السيارات وشارعا آخر يتجمع فيه تجار الورق والمطابع . وتوجد مدن مخصصة بأكملها لصناعة وتجارة السيارات أو الفحم أو الحديد أو الأغذية .

ولو فرض ان للمرض سوقا ، وكان على كل انسان أن يخصص مبلغا من المال لشراء المرض الذي يروق له ، لنزل أحدنا الى سوق المرض في اليوم الذي يختاره ، ودخل ماشيا صحيحا معافى في أول الشارع ونظر الى واجهات العرض . يقف أمام دكان أمراض العيون ويتذكر احتمال فقدان البصر ، وطبعا يسرع الى الدكان الذي يليه . فيجده لأمراض القلب بما فيها من تحديد للنشاط الى احتمال الموت المفاجيء . فيسرع الخطى للذي يليه فيجده دكانا لأمراض المعدة بما فيها على أقل تقدير من احتمال تحديد تناول الأكلات الشهية . ولا شك أنه سيترك هذا العرض الى الذي يليه . وهكذا سيجتاز شارع المرض من أوله الى آخره دون ان يروق له شيء من سلع المرض المعروضة .

الانسان اذا كان مخيرا في المرض فلن يختار أي نوع منه . بل انه لن يختار أصلا أن يمرض أليته . سيختار الصحة والعافية ولو أنه لا يقدر ثمنها ولا قيمتها وهو يملكها ، ولا يشعر بهذه القيمة الا بعد أن يفقدها .

ولذلك فان الاختيار يكون من عند الله امتحانا من عنده . وهذا شيء لا يفطن اليه الا المسلمون المؤمنون .

انسان يمرض فيثور ويعترض ولا يقبل وضعه الجديد . ولا يقبل الرقاد فى الفراش ولا يقبل الألم . لا يقبل اى شىء جد عليه بسببه مرضه . ولا يقبل المرض أصلا . هل لى ماذا بيده أن يفعل غير أن يقبل ؟ لماذا يثور ؟ لماذا يعترض ؟ هـذا « مريض فاشل » على وزن « طالب فاشل » سقط فى امتحان المرض . وقد لا يمرض مرة أخرى حتى تكون له فرصة أخرى فى هذا الامتحان .

انسان آخر يمرض فيستسلم (١) . الايمان يملأ قلبه وذهنه . بل يملأ دمه الذى فى عروقه . يعلم أن ليس له من الأمر شىء ولا بد له من الانصياع لارادة الله . هذا ناجح وحاصل على مجموع يؤهله لدخول الكلية والجامعة التى يختارها والتى يستحقها . الجنة ان شاء الله وبشر الصابرين .

ومن أقسى هذه الامتحانات الأمراض التى تدوم زمنا طويلا . لأن الصبر فيها يطول . وقد ينفد قبل نهاية المرض فيخفق المريض فى الامتحان . وامثلة ذلك الأورام الخبيثة والدرن والشلل .

ولو أضيفت الى ذلك الامتحان القسوة الكبرى وهى قسوة الفقر لأصبح الامتحان مضاعفا وشدته فوق متوسط احتمال البشر .

هذا ميدان يجب أن يتنافس فيه المتنافسون . المسلمون لو كانوا حقيقة اخوانا لتعاونوا وتكافلوا . لا يمكن للمسلم أن يمرض بدلاً من مسلم آخر . ولكنه يمكنه أن يخفف عن أخيه المسلم جانبا من قسوة الامتحان . وهو جانب الفقر . فالمريض المسكين يمر فى فترة من أقسى فترات الحياة بالنسبة لنفسه وبالنسبة لمن يعول . ويحتاج لمن يأخذ بيده أثناء هذا الامتحان القاسى ليجتازه بنجاح ان شاء الله .

ولكل مساهم فى هذا العمل النبيل الخالص لوجه الله نصيب من الجزاء الجميل . جزاء من ربك عطاء حساباً (النبأ ٣٦) . هل جزاء الاحسان الا الاحسان (الرحمن ٦٠) .

أمين رضا

---

(١) بالطبع لا يخفى على فطنة القارىء أن الاستسلام لقدر الله لا يمنع من الأخذ فى أسباب العلاج والتداوى . (الوحيد)

والمؤمنات مواقف

بقلم: ماجدة محمد شواقفه

. . وما من شك فى أننا ونحن فى طريق اقامة المجتمع المسلم ، وبناء صرحه ، وتشييد عمده ، واذ نبدا فى وضع لبناته الأولى ، لا ريب أننا اخوة وأخوات — فى حاجة الى تلمس طريق القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، وما نحسب أننا قد نجدهما فى عصر السفور والتبرج ، والخلاعة والمجون ، ومع ماديات هذا العصر ، وزيوف تمدينه الزائف ، وخداع بريقه التحضرى الجائر بل نجد أننا فى أمس الحاجة الى العودة الى العهود الأولى للاسلام ، لنبحث فى تاريخ السلف من المؤمنات الصالحات ، اللائى هن القدوة والأسوة ، وننقب عن مآثرهن ونتعمق عظيم مواقفهن ، لنستشف جل مراميها ، ونستكشف مفهمن الصحيح لرسالتهن ، كى نتخذ لأنفسنا منهجا نسير فيه على هديهن ، متأسيات ببلغ الايمان من قلوبهن ، ومدى ما وصلن اليه من عمق الفهم وبعد التصور .

ولاشك فى أننا بعودتنا هذه ، انما نريد استيضاح الطريق نحو بناء أسرة مسلمة ، من مجموعها يصبح المجتمع المسلم الذى ننشده ، فمما من ريب فى أن المرأة هى دعامة الأسرة المسلمة ، حيث تختص بأكبر جوانب اعداد هذه الأسرة ، وحينما تكون هى المنبع الذى يستقى منه التوجيه والترشيد والتربية .. يكون من اللازم اللازب أن يعنى بها تمام العناية ، ويقام على اعدادها خير قيام ، كى يصبح هذا المعين عذب اللسان ، مستقيم الطريقة ، قويم السلوك ، بحيث تغدو المرأة منذ صباها ، وقد تشربت أحكام دينها ، وأدركت أبعادها ، وفهمت مالها وما عليها ، عن طوع واقتناع ، وعن استسلام لشرع الله وتسليم به ، فالمرأة اذا فقهت رسالتها التى حددها لها الاسلام ، وأخذت فى انتهاجها على ضوء من تقوى الله ، والتزام بمعالم هذه الرسالة الجليلة ، لاشك أننا فى النهاية سنجد مجتمعا اسلاميا قوى العماد ، واضح الغاية ، متميز الفكر ، بين الذات ، ثابت الكيان ، حاد البصيرة ، يدرك ابعاد كلمة الجهاد ، ذلك ان هذه الأم المسلمة ستكون عونالزوجها على طول الطريق السوى ، وظهيرا له ضد شيطان الهوى والزلل ، ومن ناحية أخرى يتعاونان سويا على تنشئة جيل أشرب

الاسلام منذ المهد ، وما احوجنا الى جيل كذاك يظل على فطرة الاسلام من غير عوج ولا أمت ، ولن يكون الا بآباء وأمهات حسن اسلامهم ، وصح فهمهم لعقيدة التوحيد ، والأمهات هن المعقود عليهن عبء المسئولية في ذلك ، لنعيد على الاسماع مواقف المؤمنات الصالحات في الزمن الغابر .

وانى لفى حيرة حينما تتعدد أمامى مواقف تلك المؤمنات على مدى الزمن وشجاعة مواقفهن ، ومدى ما بلغن من جراة فى الحق ، ولكن حسبنا — فى ظروفنا الآن — أن نستحضر موقفا يعيد فى النفوس معنى الجهاد فى سبيل الحق مهما كانت المشقات وبلغت التضحيات ، فياله من موقف سبقته مواقف كثيرة فى سبيل الحق والذود عنه ، أم تدفع بولدها الى ساحة الوغى مادام على الحق الأبلج ، فما أعظمها اسماء بنت ابى بكر ، حين دخل عليها أول وليد فى الاسلام ، عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، وقد راى مارأى من الخذلان يقول لها : « ياأماه خذلنى الناس حتى ولدى واهلى ، فليس معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع ساعة صبر ، والقوم يعطوننى ما اردت من الدنيا ، فما رايك » .. هو الخيار اذن بين خوض القتال واستكمال ما بدا من مقاومة لما رآه باطلا وبين اغراء بالتنازل والتنحى مقابل توفير أسباب الترف والنعيم ، وهكذا اتاها مستشيرا لها مستنصحا اياها ، وهكذا هو الحال فى مجتمعات مسلمة بالمعنى الحقيقى للاسلام ، وحتما سيكون الرد متناسبا مع مبلغ الايمان من قلوب هذا المجتمع ، فها هى ذات النطاقين تقول لولدها : «أنت والله يابنى اعلم بنفسك ، ان كنت تعلم انك على حق ، واليه تدعو . فامض له ، فقد قتل عليه اصحابك ، ولاتمكن من رقبتك غلمان بنى امية يتلاعبون بها ، وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد انت ، اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك »

ولله در اسماء ، فهذه هى حكمة الأم المسلمة ، وقدرتها على تمييز الأمور ، وقياسها بمقياس العقل والفهم لابعادها الاسلامية . الا ترين ايتها الاخت المسلمة انها تحذر ولدها أن فر عاقبة الامر ، وكيف تزجره ان تبين غير الحق فى دعوته وقتاله ، وان الامر ليس يقف عند هذا الحد ، فنجدها تبسطه وتتعرض له من جميع جوانبه حين تقول : « وان قلت — اى ولدها عبد الله — كنت على الحق فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين . وكم خلودك فى الدنيا ؟ .. القتل أحسن ، والله لضربة بالسيف فى عز أحب الى من ضربة بسوط فى ذل »

الله اكبر .. ما هذه الطاعة من ابنة الصديق ؟ ! وما ذلك المنطق الجرىء الذى تحدث به ؟ ! انه ولاشك منطق الاسلام الصحيح ، منطق الحق الذى ترخص له النفوس ، وتتضاءل امامه الحياة ، انه منطق امهات مؤمنات اثمن الدين ، وقربين منذ المهد على منهجه ، والله لضربة بالسيف ... » بالما من جراة لا تعرف الجبن ، وقوة فى الحق لا يشك فى مضائها ، فما بالنا اذ يقول (انى اخاف ان قتلونى ان يمثلوا بى) الم تقل انها شجاعة فى الحق لا تعرف الحور ، وانه التصميم الذى لا مرجع عنه ، وانها العزيمة التى لا تقف عند حد ، ولا تهن مثقال ذرة امام موت محدق ، وتمثيل كان احرى ان يثنى عن المضى فيشفق ، ولكن النفوس بيعت لله منذ شهادة أن لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله ، بيعت لله وفى سبيل الحق واعلاء كلمة الدين ، فلم الجبن ولم الوهن ؟ ! .. وانها لقولة مشهورة تلك التى نطقت بها ذات النطاقين : (يابنى ان الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها) افرايت — ايتها الاخت المسلمة — اما كتلك ؟ تهون الموت لفلذة كبدها ، وتدفع بولدها الى ساحة الميدان والاستشهاد ، مادام الحق شرعته ودعوته منذ خروجه ، وطالما كان غاضبا لله ان تستحل حرماته ، زاهدا فى الدنيا ، لا يركن اليها فى قليل او كثير . وهكذا رأى الابن ما رأت امه ، فازداد بصيرة على بصيرتها ، حيث دنا منها ، وقبل رأسها وقال : (هذا والله رأيى ، والذى قمت به داعيا الى يومنا هذا ، ما ركنت الى الدنيا ، وما احببت الحياة فيها ، وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله ان تستحل حرماته ، ولكنى احببت أن اعلم رايك . فزدتنى بصيرة على بصيرتى ، فانظرى ياأماه ، فانى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك وسلمى الامر لله ...)

هكذا تشترك الهوية عند افراد المجتمع المسلم ، وتتوحد الأهداف ، وتتضح الآراء ، وتنجلى البصائر عن حق أولى بالاتباع . وبمثل هذا المنطق ينبرى المسلم فى الدفاع عن الحق ، والانتصار لدين الله ، وبمثل هذه الأم يكون أمثال عبد الله بن الزبير ، فما احوجنا الى امهات بمثل تلك المثالية الاسلامية وما افتقر مجتمعنا بدونهن ، والا مما كان الانقياد من الشباب نحو الدعة والميوعة ، وانى لنا فى قرننا هذا بأسماء وسمية وخنساء ، يدفعن بأنفسهن وبقرة الأعين الى ساحة القتال ، ويستبشرن باستشهادهم الخير كله وهل من خير اعظم للمسلم من نيل الشهادة ؟ !

اننا معشر الأخوات المسلمات — فى حاجة الى تعميق تلك المواقف العظيمة ، كى تشحذ الهمم ، وتتقد

المزائم ، فى حاجة الى نبذ الدعاوى الكاذبة المسماة بحقوق المرأة ، وحريتها ، ومساواتها بالرجل ، والتى ادت الى مآسم من التبرج والسفور ، والاختلاط المستهتر ، اننا فى حاجة الى التخلص من التقليد الاعمى لدنيات فى طريقها الى الانحلال والزوال ، ليبعدها عن مكارم الأخلاق ، ومجالاتها لفطرة الانسان ، وما احوجنا الى استقراء مثل تلك المواقف والتمثل بها ، فنحدد الهدف ، ونرسم الغاية من اقامة اسرة مسلمة على اساس من الايمان العميق بالرسالة الحقيقية للمرأة فى المجتمع الاسلامى ، وهى رسالة اعداد جيل من الرجال الأفذاذ ، وتقديم ابطال هذه الأمة ، فى معركة الذود عنها وحماية بيضتها ، والدفاع عن حقيقتها ، رجال يأطرون على الحق اطرا ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، فيصبح الجهاد فى سبيل الله مفهومهم واسمى امانيهم فى عصر رخصت فيه الكرامة ، ومانت كلمة الجهاد فما تذكر ، وكأنها ليست من الفاظ العربية فى شىء ، رغم عدوان غاشم على ديار المسلمين واحتلال جاثم ، جرى بأن ينطق الألسنة ، ويحرك فى النفوس توقا الى دفع الخطر ، الذى يتهدد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فهل من واعيات ينطلقن من هذا المنطلق فى تربية اولادهن ، فيمضين جاهدات على الأخذ بكل ما هو حق غير مبالين بمعصرات الحضارة الزائفة ؟ .. ان المرحلة القادمة فى حياة الدعوة الاسلامية تتطلب الوعى التام لأعباء الرسالة ، والله نسأل العون والمدد والثبات انه نعم المولى ونعم النصير .

ماجدة محمد شحاته

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (متفق عليه)

قصة نوح عليه السلام

بقلم : على حضنى إبراهيم

انتهى بنا الحديث فى قصة نبى الله نوح عليه السلام عند حد رأينا فيه اعراض قومه التام عن رسالته واصرارهم على انكارها وقد ادعوا أنه ليس مرسلا من قبل الله وأنه دعى (١) على هذه الرسالة ، ووجهوا اليه التهم فى مثل قولهم الذى حكاه القرآن (ان هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) أو (رجل به جنة) .

والذى تولى كبر هذا الاعراض والصد هم زعماء القوم وأشرافهم والذين عبر عنهم القرآن بكلمة (الملأ) . وكان الأجدر بهم أن يعرفوا قدر رسولهم ورسالته ، ويعطوه الولاء وأن يدينوا له بالسمع والطاعة.

لكن كما قيل (تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن) فقد قابلوه بالصد والاعراض والتكذيب وظل نوح عليه السلام فى قومه يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما ، وكان يدعوهم ليلا ونهارا ، سرا وجهارا وهم مصرون على موقفهم العدائى من نوح عليه السلام (وما آمن معه الا قليل) .

وتطور الأمر الى أبعد من ذلك وأكبر . فقد وصل الأمر الى تهديد قوم نوح لنوح عليه السلام بالرجم بالحجارة أو الرجم بالكلام (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) ١٦٦ الشعراء ورغم أن فترة الدعوة كانت كبيرة ورغم أن نوحاً عليه السلام كان من أولى

---

(١) دعى : متطفل .

العزم الذين أمر الله رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبروا (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الا أن طول الفترة وقلة عدد المؤمنين به قد أوغر صدره عليه السلام على قومه

فبعد أن كان يدعو ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، برفق ولين فانه سلك بعد ذلك مسلك التحدى لقومه (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون) يونس • ان نوحاً عليه السلام وقف فى ميدان الدعوة وحده ليس معه الا الله عز وجل وهو يعلن التحدى لقومه قائلا : ان كنتم تستطيعون أن تهلكونى بعد أن تجمعوا أمركم وتستعينوا بشركائكم (أصنامكم وآلهتكم المزيفة) فافعلوا ولا تتمهلوا •

وكان رد القوم الذين غرتهم قوتهم ، وضاقوا بنوح ذرعاً أن قالوا له (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) هود • يعنى قد حاججتنا فأكثرت محاجتنا واستنفذت كل ما لدنيا من حجج حتى لم يعد لدينا ما نقوله لك وقد مللنا أمرك فان كنت صادقاً (فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) هود ٣٢ •

وقد نصحهم بعبادة الله وترك عبادة غيره لأن عبادة غير الله فيها هلاكهم (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) ٢٦ هود • لكن القوم قبلوا التحدى واستعجلوا عذاب الله وطلبوا من نوح أن يعجل لهم العذاب الذى أنذرهم به لكن نوحا عليه السلام شأنه شأن المرسلين جميعا لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله فقال لهم (قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين)

حينما يريد الله أن يعذبكم فلا أحد يملك أن يرد عنكم هذا العذاب وما أنتم بمعجزين أى لن تستطيعوا الفكاك من عذاب الله اذا نزل بكم . وقد وصلت الدعوة الى حد ضاق فيه نوح عليه السلام بقومه الذين لم يؤثر فيهم ترغيب أو ترهيب . فقلوبهم غلف ، وأعينهم فى غطاء عن ذكر الله ، وأصابعهم فى آذانهم . وهذا حال يدعو الى اليأس . لكن أنبياء الله ليس من شأنهم اليأس . انهم كلفوا برسالة فعليهم أن يؤدوها ثم يفوضوا الأمر الى الله .

وقد رأينا نوحا بعد اعراض قومه يتوجه الى الله عز وجل بقوله (قال رب ان قومى كذبون) ١١٧ الشعراء (فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين) ١١٨ . أى احكم بيننا بما يستحقه كل منا . وقال تعالى فى سورة نوح (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ــ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) يارب لا تبق من الكافرين أحدا على الأرض فانهم ان بقوا فان ذريتهم ستكون على شاكلتهم .

وقد أجيبت دعوة نوح عليه السلام (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) ثم أمر أن يصنع السفينة بوحى من الله وتوجيه منه (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) هود . وشرع نوح فى صنع السفينة وكان ذلك فرصة لقومه أن يستهزئوا به ويسخروا منه (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) وكان يرد السخرية بسخرية أشد . كيف لا وقد علم من الله أنهم مغرقون . (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون)

وحانت ساعة تنفيذ الحكم بعد صبر طال وبعد أن استجار نوح بالله عز وجل (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ــ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ــ وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر)

القمر . التقى ماء الأرض بماء السماء على أمر قدره الله أنه كائن لا محالة . فكان ذلك علامة لنوح أن يحمل فى السفينة من كل خلق زوجين اثنين وأهله ، وألا يحمل معه أحدا ممن سبق عليه القول .

واستوى نوح ومن معه على ظهر السفينة وهم قليل ، وفتح الله أبواب السماء بماء وصفه الله بأنه منهمر ، وفجر الأرض عيونا ليلتقى الماء على أمر قد قدره سبحانه ، وارتفع الماء ارتفاعا بلغ قمم الجبال الشامخة وصار الموج المتلاطم يدمر كل شىء بأمر ربه الا سفينة متواضعة كانت تحمل نوحا عليه السلام ومن معه لأنها كانت محمولة بمن فيها بأمر الله ، وما كان أمر الله فى شىء الا حفظه . (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال)

ولعلك معى أخى القارىء أن الله اذا كان قد وصف الموج بالعلو وشبهه بالجبال فماذا كان حجم الماء ؟ أأنت معى أن الوصف عظيم . ان الله قد ينزل الماء من السماء ليروى ظمأ قوم أو ليسقى نباتا ، ويحيى مواتا وهو قد ينزل الماء نفسه ولكن ليغرق به قوما ظالمين . والماء هـو الماء .

واذا نظرنا الى التقدم العلمى الذى كان منه صناعة السفن عابرة المحيطات والبحار الكبيرة والتى تحمل فى بطنها آلاف الأطنان ومع ذلك قد يعلو الموج بضعة أمتار فتغرق السفينة بما عليها . أما السفينة المتواضعة التى وصفت بأنها (ذات ألواح ودسر) فانها على رغم ضآلة حجمها وقلة المحمولين فيها فان الأمواج العاتية لم تؤثر فيها لأنها كانت (بسم الله مجريها ومرساها)
أفلا يجدر بنا أن نعود الى ربنا وأن نسلم له قيادنا وأن نكل أمورنا كلها اليه حتى يكشف عنـا ما ألم بنا . أرجو الله أن نكون كذلك .

والحديث موصول ان شاء الله .

على حفنى ابراهيم

معاني ألفاظ القرآن

بقلم سليمان رشاد محمد

— ١٩ —

تابع سورة الأحزاب — ٣٣

٥٣ — اناه : غير متحينين نضجه فتدخلون متطفلين ولكن اذا دعيتم فادخلوا .

٦٠ — والمرجفون : الذين يروجون الاشاعات الكاذبة .

— لنغرينك بهم : لنحرضنك ونسلطنك عليهم .

٧٢ — الأمانة : قيل فيها كثير ، والأقرب أنها أوامر الله وتكاليفه عرضها مقرونة بالثواب لمن امتثل ووفى والعقاب لمن خالف وعصى .

سورة سبأ — ٣٤

٢ — يلج : يدخل .

— يعرج : يصعد .

٣ — يعزب : يغيب ويخفى .

— مثقال ذرة : مقدار وزن ذرة .

٥ — معاجزين : معاندين ومعارضين لتعطيلها .

— رجز أليم : عذاب أليم شديد .

٧ — مزقتم كل ممزق : تفتتت أجسامكم بعد موتكم .

٩ — كسفا : قطعا .

١٠ — أوبى : رددى صوته معه بالتسبيح .

١١ ــ سابغات : الدروع الطويلة التى تغطى صاحبها .

ــ قدر فى السرد : وضيق فى الحلقات حتى لا تنفذ منها السهام .

١٢ ــ غدوها شهر : تقطع فى ذهابها أول النهار مسيرة شهر .

ــ ورواحها شهر : وتقطع فى عودتها فى نفس اليوم مسيرة شهر .

ــ القطر : النحاس .

ــ يزغ : ينحرف عن طاعته .

١٣ ــ محاريب : أماكن عبادة .

ــ جفان : أوانى واسعة تشبه الجوابى .

ــ الجوابى : جمع جابية وهى الأحواض الواسعة التى يجمع فيها الماء لشرب الابل .

ــ وقدور راسيات : أوانى للطهى وهى ثابتة فى أماكنها .

ــ اعملوا آل داود شكرا : قدموا شكرا عمليا لا قوليا .

١٤ ــ دابة الأرض : الأرضة .

ــ منسأته : عصاه .

ــ أن لو كانوا يعلمون الغيب : عرفت الجن أنهم لا يعلمون الغيب .

١٥ ــ سبأ : دولة من دول اليمن .

١٦ ــ سيل العرم : السيل الشديد الجارف العارم .

ــ أكل خمط : ثمر مر يؤكل يثمره نوع من شجر الأراك .

ــ وأثل : نوع من الطرفاء لا يثمر .

ــ سدر : شجر النبق .

١٨ ــ بينهم وبين القرى التى باركنا فيها : أى بين اليمن والحجاز .

ــ قرى ظاهرة : قرى كبيرة عامرة .

ـ قدرنا فيها السير : نظمنا فيها السير بحيث يقطعون المسافة كلها فى بلاد عامرة آمنين مطمئنين .

١٩ ـ مزقناهم كل ممزق : شردناهم فى الأرض بسبب كفرهم بنعم الله .

٢١ ـ سلطان : سيطرة يقودهم حيث يشاء قسرا .

٢٣ ـ فزع : بعد زوال الفزع بعد البعث علموا أن ما قال الله هو الحق : فلا أحد غير الله يملك شيئا من السموات والأرض ولا شريك له فيهما أو يستعين بهم على تدبيرها أو له شفاعة نافعة لأحدهم عند الله .

٣١ ـ ولا بالذى بين يديه : ولا بالآخرة التى يقول القرآن انها آتية .

٣٤ ـ مترفوها : الأغنياء البطرون المسرفون هم الذين دائما يكذبون الرسل .

٣٧ ـ تقربكم عندنا زلفى : تجعلكم تنالون رضانا وحبنا .

٤١ ـ سبحانك : قالت الملائكة ننزهك ياربنا أن نكون لك شركاء فأنت ولينا ولكنهم كانوا يعبدون الجن الذين اتخذوهم شركاء لك .

٤٣ ـ افك مفترى : كذب مختلق .

٤٥ ـ وما بلغوا معشار ما آتيناهم : ان قريشا لم تبلغ عشر قوة وحضارة الأمم السابقة فلما كفروا أهلكهم الله وسيحل بهم ما حل بغيرهم من المكذبين .

٤٦ ـ أعظكم بواحدة : آمركم بأمر واحد وهو الايمان بالله .

٥١ ـ فلا فوت : فلا مهرب .

٥٢ ـ أنى لهم التناوش : لن يتمكنوا أخذ الايمان بعد أن عملوا فى الآخرة .

٥٤ ـ حيل بينهم وبين ما يشتهون : وهو الايمان النافع .

سورة فاطر ـ ٣٥

١ ـ فاطر : خالق .

٢ ـ فلا مرسل له : لا يستطيع أن يفتحه ويطلقه .

٣ ـ تؤفكون : تصرفون بعيدا عن الحق .

٥ ـ الغرور : الشيطان وكل من يغرر بالناس .

٩ ـ النشور : الحياة بعد الموت يوم القيامة .

١٠ ـ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه : هذان من أدلة العلو للعلى القدير ويبطل قول من ينكرون العلو واستواء الله على عرشه ، وهو بعلمه فى كل مكان .

ـ يبور : يبطل الله مكرهم ويمحقه .

١١ ـ ولا ينقص من عمره : كتب له عمر قصير وهو فى بطن أمه .

١٢ ـ تستخرجون حليـة : كاللؤلؤ والمرجان اللذين يستخرجان من البحـر .

ـ مواخر : تسير مسافرة ناقلة الناس والبضائع .

١٣ ـ قطمير : القشرة الرقيقة حول النواة .

١٤ ـ ما استجابوا لكم : الموتى لا يسمعون دعاء من يعبدونهم ولو فرض أنهم سمعوا لا يقدرون أن يجيبوا ويوم القيامة ينكرون عبادة من كانوا يدعونهم .

١٨ ـ ومن تزكى : تطهر من الشرك ودنس الذنوب .

٢١ ـ الحرور : المكان الشديد الحرارة .

٢٢ ـ وما أنت بمسمع من فى القبور : كما أن سماع الموتى محال كذلك سماع من كتب الله عليهم الضلالة محال .

٢٥ ـ الزبر : جمع زبور وهو الكتاب .

٢٧ ـ جدد بيض : جمع جدة وهو الطريق .

ـ غرابيب سود : جبال شديدة السواد .

٣٢ ــ اصطفينا : اخترناهم وأكرمناهم .

ــ فمنهم ظالم لنفسه : مقصر فى أداء الواجبات .

ــ ومنهم مقتصد : يؤدى الواجبات ولا يتجاوزها .

ــ ومنهم سابق بالخيرات : يزيد النوافل وعمل الصالحات على الواجبات .

٣٣ ــ يدخلونها : الأقسام الثلاثة من أهل الجنة باذن الله .

٣٥ ــ نصب : لا تعب فى دار المقامة وهى الجنة .

ــ لغوب : اعياء .

٣٧ ــ يصطرخون : يستغيثون بصراخ وعويل .

٣٩ ــ خلائف : يخلف بعضهم بعضا .

ــ مقتا : كرها وبغضا وغضبا .

٤١ ــ ان أمسكهما : لن يمسكهما .

٤٢ ــ جهد أيمانهم : أغلظ الأيمان وآكدها .

٤٣ ــ يحيق : يحيط .

ــ الا بأهله : الذين دبروه ، فمن حفر حفرة وقع فيها .

٤٥ ــ ظهرها : على ظهر الأرض .

سورة يس ــ ٣٦

١ ــ يس : من الحروف المتقطعة فى أوائل بعض السور .

٨ ــ الأغلال : جمع غل وهى السلسلة توضع فى عنق المجرم .

ــ الأذقان : جمع ذقن .

ــ مقمحون : الاقماح رفع الرأس فى ضيق الغل فى العنق .

٩ ــ فأغشيناهم : وضعنا على أعينهم غشاء .

١٢ ــ وآثارهم : ما خلفوا بعدهم من عمل صالح أو سيىء .

ــ امام مبين : كتاب واضح لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

١٤ ــ فعززنا : قوينا ودعمنا رسالتهما بمبعوث ثالث .
١٨ ــ تطيرنا : تشاءمنا .
١٩ ــ طائركم معكم : شؤمكم ملازم لكم بسبب كفركم .
٢٠ ــ أقصا المدينة : من آخر البلدة .
ــ يسعى : يجرى ليدعو الناس لاتباع المرسلين .
٢٣ ــ لا تغن عنى شفاعتهم : لا تنفعنى شفاعة أوليائكم الذين اتخذتموهم آلهة ان أرادنى الله بضر .
٢٨ ــ جند : الملائكة ، لم يهلك هؤلاء الكفرة بهم بل أرسل عليهم صيحة مميتة فأهلكتهم .
٢٩ ــ فاذا هم خامدون : خمدت أنفاسهم فماتوا .
٣٣ ــ الأرض الميتة : الأرض الجدبة = البور .
٣٦ ــ الأزواج : الذكورة والأنوثة فى كل شىء .
٣٧ ــ نسلخ : ينبلج بياض النهار من سواد الليل كما ينسلخ الجلد من الذبيحة ، وكذلك يدخل سواد الليل بعد سلخ بياض النهار .
٣٨ ــ لمستقر لها : الى حيث قدر الله .
٣٩ ــ منازل : من هلال الى تربيع الى بدر ثم يعود .
ــ كالعرجون القديم : عرجون التمر اذا جف وانحنى واصفر .
٤١ ــ الفلك المشحون : السفينة المحملة وهى تطفو على الماء بحمولتها الثقيلة آية ودليل على قدرة الله .
٤٣ ــ لا صريخ لهم : لا منقذ ولا مغيث لهم .
٤٥ ــ اتقوا : احذروا عذاب الدنيا والآخرة .
٤٩ ــ يخصمون : يختصمون ويتنازعون فى متاع الدنيا .
٥٠ ــ فلا يستطيعون توصية : فقد أخذتهم الصيحة فى لحظة خاطفة
٥١ ــ نفخ فى الصور : نفخة البعث والقيام من الأجداث أى القبور .
ــ ينسلون : يسرعون .
٥٥ ــ فاكهون : فرحون ناعمون .
ــ ما يدعون : ما يطلبون وما يتمنون .

سليمان رشاد محمد

الرسول صلى الله عليه وسلم قاضيا

بقلم : أحمد لطفي السيد

لم يحظ نبي ولا رسول من أمته بمثل ما حظي به نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه دراسة ومتابعة لجوانب العظمة في سيرته العطرة واستخلاص المعاني منها .

فقد حفظ لنا التاريخ في أطهر صفحاته ما تضمنته حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من دقائق الأحوال وأجلها ... فشملت كل كلمة قالها ... وكل خطوة مشاها ... وكل اشارة أبداها حتى البسمة تشرق على وجهه والغضبة يتغير لها ... مشيته والجلسة بين أصحابه ... واللقمة يضعها في فمه ... والفكرة ينشرها برا ورحمة ... حتى ما كان من خصائص أمره .

كل ذلك وعاه التاريخ بحروف من نور ... ثم تألق هذا كله نورا في أرجاء الدنيا .. وعطرا طابت وما زالت تطيب به أنفاس الحياة ... والى أسوة حسنة ينتفع الانسان بنورها وهداها .

لنطو التاريخ قليلا ونعود الى لمحات من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أول قاض في الاسلام .. وقد نزلت الآيات القرآنية التي أكدت مهمة الرسول في الحكم بين الناس ... كما في قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقوله تعالى « فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » ... وتولى الرسول القضاء بنفسه فيما رفع اليه من خصومات ..... وكان يجيب عما يسأل عنه من الحكم في نزاع معين ... وكان الرسول يقضي بين الناس بوصفه بشرا ... قال عليه الصلاة والسلام « انكم تختصمون الى

ولعل بعضكم ألحن لحجته من بعض فمن قضيت له بشيء من مال أخيه بغير حق فانما أقضي له بقطعة من النار » وقوله .. « أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » .

ولقد قضى الرسول صلى الله عليه وسلم فى القضايا التى عرضت عليه بفطرته السليمة ووضع بذلك أسس العدالة الاسلامية . . . وتضمن قضاؤه المبادىء التى أخذت بها التشريعات الحديثة فى هذا العصر ... وهـذه بعض المبادىء التى يكشف عنها قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم .

الشك يفسر لصالح المتهم

وأساس هذا المبدأ فى الحديث النبوى الشريف « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله فلأن يخطىء الامام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » ويعد هذا المبدأ من أسس القضاء الجنائى فى التشريعات الحديثة وهـو أن الشك يفسر لصالح المتهم .

وتطبيقا لهذا المبدأ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرز فى قبول الدليل وليس هناك أقـوى من الادلة من اعتراف المتهم على نفسه ... ومع ذلك فان الرسول كان يحرص على الاستيثاق من الاعتراف وصدوره من صاحبه عن يقين حتى لا يكون هناك شبهة فى صدق هذا الاعتراف .

ولعل قضاء الرسول يؤكد دور القضاء فى ضرورة التثبت من الدليل والحرص على أن يكون القضاء بالادانة مبنيا على اليقين ... ويكفى للحكم بالبراءة أن يتسلل الشك الى نفس القاضى فلا يطمئن الى الدليل .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبول الرجاء أو التوصية فى القضاء .. فقد أمر الرسول بقطع يد المخزومية التي اتهمت بسرقة بعض الامتعة . وذهب أهلها الى أسـامة بن زيد ليشفع لها عنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول « يا أسامة أتشفع

فى حد من حدود الله ؟ ؟ « ثم قال » يأيها الناس انما أهلك من كان من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحـد ... وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وهـذا المبدأ تأخذ به التشريعات الجنائية وهو ما قررته المادة ١٢٠ من قانون العقوبات المصرى والتى حظرت على كل موظف التوسط لدى قاض أو محكمة لصالح أحـد الخصوم بطريق الأمر أو الرجاء أو التوصية .

الاعفاء من العقوبة

.. وضع الرسول صلى الله عليـه وسلم فى أحاديثه موانع المسئولية فقد روى عنه أنه قال « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » ... والتشريعات الحديثة تمنع مساءلة الصبى غير المميز الذى لم يبلغ السابعة من العمر ... وتنص المادة ٦٢ من قانون العقوبات على أنه لا عقاب على من يكون فاقد الشعور أو الاختيار فى عمله وقت ارتكاب الفعل اما لجنون أو عاهة فى العقل .

مبدأ شخصية العقوبة

يتضح هذا المبدأ مما رواه ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يؤخذ رجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » . . وهو مبدأ شخصية العقوبة المعروف فى التشريعات الحديثة ونصت عليه المادة ٦٦ من الدستور فى قولها « العقوبة شخصية » (١)

أدلـة الاثبـات

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ أساسيا فى مجال الاثبات فقال « البينة على من ادعى » ... فذلك هـو معنى تكليف المدعى بالاثبات أمام القضاء ... وتقديراً لأهمية الشهادة فى الاثبات قال

---

(١) هـذه الأمثلة وغيرها تؤكدضرورة الرجوع الى احكام الاسلام فى تشريع القوانين واستبعاد ما لايتفق مع احكام الدين .

رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه » وتنص على ذلك المادة الأولى من قانون الاثبات فى المواد المدنية والتجارية فى قولها « على المدعى اثبات الالتزام وعلى المدعى عليه اثبات التخلص منه » .

حياد القاضى

أكدت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الزام القاضى بالمساواه بين الخصوم ... وروى عنه انه قال « سو بين الخصمين فى لحظك ولفظك » وهذا هو مبدأ حياد القاضى نصت عليه المادة ١٠٢ مرافعات « يجب الاستماع الى أقوال الخصوم حال المرافعة » وقال الرسول الكريم « فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقض حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الأول فانه أحرى أن يتبين لك وجه القضاء » وهذا هو مبدأ حرية الدفاع وهو ما قررته المادة ٢٧ من قانون الاجراءات الجنائية فى قولها « بعد سماع شهادة الشهود يجوز للنيابة العامة وللمتهم ولكل باقى الخصوم فى الدعوى أن يتكلم وفى كل الأحوال يكون المتهم آخر من يتكلم » .

ونهى النبى عن أن يحكم القاضى وهو غضبان فقال « لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان » .. كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم القاضى عن البيع والشراء فى مجلس القضاء . وقد حظرت المادة ٤٧٨ من القانون المدنى على القضاة شراء الحق المتنازع عليه فى دائرة المحكمة التى يعملون بها .. كذلك كان الرسول يدعو الى الصلح بين الخصوم فقال « ردوا الخصوم كى يصطلحوا فان فصل القضاء يولد الضغائن » .

وبعد ... فهذه لمحات من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول قاض فى الاسلام . وهى تؤكد خلود الشريعة الاسلامية وأنها شريعة سمحاء صالحة للتطبيق لكل زمان ومكان .

أحمد لطفى السيد
المستشار القانونى لمركز السخيلاوين